جعفر الخليلي
والقصة الصورة العراقية

الدكتور عمر الطالب *

ولد جعفر الخليلي عام ١٩٠٢ في النجف في بيت علم وادب وتولى غير واحد من اسرته المرجعية الكبرى للزعامة الروحانية الشيعية [١] .دخل المدرسة العلوية وهي اول مدرسة نجفية درست اللغات الحية الى جانب اللغة العربية، عالج الشعر وهو تلميذ لم يتعد التاسعة من عمره وكانت لدى والده مكتبة عامرة فتح عينيه على دررها. وزاول الكتابة وهو في السادسة عشرة مراسلاً لجريدة العراق وجريدة الاستقلال ثم بدأ في ترجمة القصص من الفارسية ونشرها في الصحف العراقية. وقد تأثر بالعديد من الكتاب وفي طليعتهم الكاتب الفرنسي، جي دي موباسا، وبدأ كتابة القصة عام ١٩٢٠ وقد استفاد من توجيهات ابيه السيد أسد الخليلي ومن تاييد اخيه عباس الخليلي. بدأ مراسلاً لمجلة (الحيرة) النجفية عام ١٩٢٧ اصدر عام ١٩٣٠ جريدة (الفجر الصادق) وهي جريدة ادبية تجاوزت الادب الى السياسة واصدر جريدة (الراعي) عام ١٩٣٤ ثم (الهاتف) عام ١٩٣٥ وقد عنيت صحفه بالقصة القصيرة ودعت اول ما دعت الى الاخذ بالترجمة. وأصدرت في كل سنة عدداً خاصاً بالقصة خلال عشرين عاماً من عمرها، وإن كثيراً من كتاب القصة المعروفين نشأوا فيها وعرفوا من خلالها ومنهم الدكتور صفاء خلوصي وعبد المجيد لطفي بالاضافة الى ذنون ايوب وعبد الحق فاضل وغيرهم. وبعد اغلاق الهاتف عام ١٩٥٤ تحول الى مكتب للأعلان والنشر [٢] . وأول قصة نشرت له (التعساء) [٣] عام ١٩٢٢. وأول اثاره كراس بعنوان (حبوب الاستقلال) وقد صادرته الحكومة في حينه وقد اشترك في الثورات التي قامت ضد المحتلين بعيد الثورة العراقية – وهو لم يزل يافعاً – بكتابة مناشير على صورة صفحات صحيفة

---

* أديب، كاتب ، ناقد قصة ومسرحية من الموصل.

عن مجلة البلاغ الكاظمية س٤ ع ١٠، وس٥ ع١ ، لسنة ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤م .

(١) مشكور الأسدي ، رؤوس أقلام عابرة عن جعفر الخليلي، دار المعارف، بغداد، ١٩٧١، ص٧.

(٢) مقتطفات من أسئلة وجهتها اليه عام ١٩٦٤.

(٣) المطبعة العلوية ، النجف، ١٣٤١.

www.noormags.ir

لاثارة الرأي العام ضد السلطة الاجنبية [١] .

وأول كتاب صدر له (يوميات) [٢] ويقع في جزئين وهو عبارة عن خواطر وأفكار، ثم اتم السلسلة التي بدأها بحبوب الاستقلال وثناها بقصة التعساء فنشر (خيال الظل، حديث السعلى، السجين، المطلق) [٣] . والاخيرةقصة قصيرة كسابقاتها يتحدث فيها الخليلي عن صديق لايألفه الكثير من الاصدقاء لصراحته وصدقه ويتهمونه بالتحول السريع عن الاصدقاء. وتشاء الصدف ان يلتقي الراوي بهذا الشخص وتربطهما علاقة حميمة يعجب بأخلاقه وحسن معاشرته ويحدث هذا الصديق عن صديق له مداهن منافق، يعجب به الاخرون ، يعين وكيلاً لأحد الأمراء ويتظاهر في المدينة التي انتقل اليها بالزهد والتقى حتى يلتف الناس حوله وبسلوكه هذا تطغى شهرته على شهرة العالم نفسه. والخليلي يستطيع ان ينفذ في قصته هذه إلى أعماق المجتمع العراقي بما اوتي من قدرة كبيرة على الملاحظة العميقة وهو يصور لنا مرض الانتهازية المتفشي بين ظهرانينا ((ان الذي الف القديم وترعرع في وسطه لا يفهم منك المنطق ولا يصغي الى المعقول وان الذي سمع بالجديد لا يعرف غير ان يسحق كل شيء باعتباره قديماً وهذا مجال واسع لمن يريد اللعب على الحبلين ولا يكلفه ذلك أكثر من ان يصيح بأسم الجامدين ليتقدم عندهم ويصرخ بأسم المجددين ليعزز نفسه بينهم مادام الطرفان لا يريدان عملاً مشهوداً وما دام الحزبان لايطلبان الا الادعاء والصياح ومن هنا تروج كلمة ارباب التهويش فيقدم المشعوذ ويتأخر المصلح) [٤]. وأصدر كتاب (عندما كنت قاضياً) [٥]وهو استعراض للأحوال الشخصية فكتابه (اعترافات) [٦] وهو مجموعة قصص قصيرة على نمط الاعترافات. تدخل احيانا في اطار القصة وتخرج في احايين كثيرة الى نطاق الاعتراف المباشر المحكي. ومن هنا جاء عدم تناولنا لها لانها لاتندرج ضمن اطار القصة الفنية. واصدر كتيباً بسام (مقدمة في تاريخ القصة العراقية) ووسعه واضاف اليه واصدره في كتاب (القصة العراقية قديماً وحديثاً) [٧] كما اصدر عام ١٩٥٣ كتابه (تسواهن) [٨] ولم يكن قصة بالمفهوم الفني للقصة وانما (ريبورتاج) صحفي يتحدث فيه الخليلي عن الملاهي وروادها من المسرفين في العراق ويحدثنا عن فتيات الملاهي ويسلط الضوء على (تسواهن) وهي راقصة فنانة لا تجالس رواد الملهى ولا تخلو

(١) مشكور الأسدي، المصدر السابق، ص٣٢.

(٢) مطبعة الراعي ، النجف، ١٩٣٥.

(٣) مطبعة الراعي، النجف، بين عامي ١٩٣٤- ١٩٣٥.

(٤) جعفر الخليلي، السجن المطلق ص ١٩.

(٥) مطبعة الراعي – النجف.

(٦) مطبعة الراعي – النجف ١٩٣٧ .

(٧) مطبعة المعارف – بغداد – ١٩٥٧ ، وأعاد طبعه ووسعه في مطبعة الانصاف بيروت ١٩٦٢.

(٨) المطبعة التجارية، بغداد.

www.noormags.ir

حياتها من مأساة. فقد قادتها ظروفها الظالمة إلى امتهان الرقص والغناء، ووالدها رجل طيب حج بيت الله وما ان توفاه الاجل حتى عجزت الام عن اعالة الاسرة الكبيرة فدفعت بابنتها البكر الى العمل، فلم تجد – وبعد محاولات عدة – غير سلوك هذا الطريق، ووتعيش تسواهن عيشة هادئة في قصرها الجميل ولا يسمع جارها الطيب الحاج سعيد أي صوت يعكر عليه انصرافه إلى العبادة.

وأصدر كتاباً مترجماً عن الفارسية بأسم (نفحات من خمائل الأدب الفارسي) ثم كتابه (ما اخذ الشعر العربي من الفارسية والشعر الفارسي من العربية) فكتابع (كنت معهم في السجن) ويستعرض فيه أهم العوامل التي تؤدي الى الجريمة ويجري فيه مقابلات هامة مع السجناء فكتابه (التمور العراقية قديماً وحديثاً). ويترجم لعدد من الشخصيات باسلوب فكه جميل في كتابه (هكذا عرفتهم) ويقع في جزئين وأخيراً كتابه المهم (موسوعة العتبات المقدسة) وهو كتاب تاريخي.

وبالاضافة الى عمله كصحفي ومؤلف ((عمل في التعليم في الحلة والنجف وسوق الشيوخ والرميثة والكوفة واستقال من وظيفته في السنة التي توفي فيها والده.. وكان مدرساً للتاريخ والجغرافيا في ثانوية النجف لمدة ثلاث سنوات)) [١].

وقد اصدر خمس مجموعات قصصية (مجمع المتناقضات [٢] ، حديث القوة [٣] ١٩٤٢، من فوق الرابية١٩٤٩ [٤] اولاد الخليلي [٥] ، هؤلاء الناس ١٩٥٦) [٦] كما اصدر روايتين (الضائع ١٩٣٧[٧] في قرى الجن ١٩٣٥ [٨]).

ويرى الخليلي في القصة ((انها حكاية الواقع ونقل الصورة الذهنية بشكل فني خاص إلى الورق وقد حدثني عن الواقع في قصصه فقال: ان القليل من قصصه واقعي مسجل والكثير منه خيالي أفرغ في قالب من الواقع فكان يتصور نفسه كما لو كان هو بطل القصة وينسج على منوال ما كان يمكن ان يقوم به كشخص صالح او غير صالح مما كان يعرف من صور الناس وأفكارهم)) [٩]

.

والخليلي من أبرز قصصّي القصة الصورة في العراق وهو لا يعني بفنية القصة عناية تامة لذا

---

(١) مشكور الأسدي ، المصدر السابق ص ٣٩.

(٢) مطبعة الراعي ، النجف.

(٣) مطبعة الراعي ، النجف.

(٤) مطبعة الراعي ، النجف.

(٥) مطبعة المعارف ، بغداد.

(٦) مطبعة المعارف ، بغداد.

(٧) مطبعة الراعي، النجف.

(٨) مطبعة الراعي، النجف.

(٩) مشكور الأسدي ، المصدر السابق ص ٤٢.

www.noormags.ir

كان نتاجه في الغالب خلوا من شروطها تغلب عليه البساطة والسهولة الصحفية والصور التي يرسمها ليست مقصودة لذاتها وانما تستهدف شيئاً آخر هو النقد الاجتماعي ومعنى ذلك ان الكاتب لم يكتب قصصه لمجرد انها تجارب شخصية من حياته وانما يكتبها ليتخذ منها موقفاً معيناً من الحياة وتوجه الى المجتمع لتنقذه وتفضح مواصفاته الاخلاقية الكاذبة ورياءه البشع الذميم وللسخرية من تلك المعتقدات التي رسخت في الأذهان كنتيجة لتغرير الدجالين أو لسوء فهم شرائع الدين بسبب الجهل المسيطر على العقول منذ عهد بعيد [١] .

وقد يعثر القاريء بين حين وآخر على ضعف في الاسلوب والتواء في التعبير مردهما السرعة التي يقتضيها عمل الصحيفة واخراجها في مواعيدها [٢] .

قصص الخليلي كثيرة صدر له قبل الحرب العالمية الثانية عدة مجاميع في القصة القصيرة وجميعها قصص تصور المجتمع تصويراً فوتوغرافياً ينقد فيها المجتمع ويعرض عيوبه ويشخص امراضه وتناقضاته باسلوب ساخر لاذع في سخريته والقصة عنده أقرب إلى الخبر حيناً والى الحكاية حيناً آخر منها الى القصة الفنية المكتملة العناصر.

يعرض لنا الخليلي في مجموعته (حديث القوة) صوراً من المجتمع العراقي المبني على العادات والتقاليد الفاسدة في قصة (كيف متُ) صور رجل اعتزل الناس ولزم داره ولكنه لم يتخلص من مضايقاتهم وأزعاجهم له. وفي (المنسيون) سخر من موظفي الحكومة وانتهازيتهم يغرّم مأمور البلدية حطاباً فقيراً لأنه وضع بضاعته على الرصيف بينما يغض النظر عن ركام الأحجار والتراب التي تعوق مرور المارة لانها تعود الى رجل غني يعمر بها قصراً.

وفي (أنت الشيخ محسن) يسخر من رجال الامن في العراق لمداهمتهم اياه ليلاً وأخذه عنوة إلى مركز الشرطة ليسألوه: هل أنت الشيخ محسن؟ هل تعرفه؟ وفي (فقدنا عقلنا ودارنا) يسخر من الخرافات التي تعشعش في رؤوس العامة. تحلم الزوجة بالملك سليمان ويشير عليها ان تحفر في مكان ما في الدار لتعثر على كنز مطمور وحين ينفذ الزوج ما اشارت عليه زوجته ينهدم الدار.

ويصور في (باني ياكل كباب) ما تؤول اليه حال الانسان عند العجز والشيخوخة فقد كان (باني) مخشي الجانب من قبل الجميع لقوته وبأسه وعندما انهكته الشيخوخة أصبح مرمى لسخرية الجميع. وفي (اسمهان) تتحول الخادم الفقيرة الى مغنية مشهورة ذائعة الصيت وتتنكر لمن أحسن اليها وساعدها في ايام عوزها وفقرها.

وفي (حق القط)صورة لقط أليف يهرب باللحم الذي أعده صاحبه لغذائه عندما يلمس ضعفه. ويسخر من جشع الاطباء في (أنتن العجائز) ومن المعلمين الذين لا يجتذبون طلابهم في

---

(١) عبد القادر حسن أمين (القصص في الأدب العراقي الحديث) ص١١٠- ١١١.

(٢)عبد القادر حسن أمين (القصص في الأدب العراقي الحديث) ص١١٠- ١١١.

www.noormags.ir

(الضعيف لا يكون قوياً .). ويسخر من المفارقات المضحكة في العراق حيث يحصل الاغبياء على كل شيء ويحرم الاذكياء في (أعوذ بقوة الله) ويحبب إلينا القناعة رغم النكبات وفقدان الاهل وضياع المال في (السر في القوة). ويحدثنا في (الرجل المنسي والرجل المذكور) عن (كارسلو) الطبيب الانساني الذي يعالج المرضى الفقراء بالمجان ويشتري لهم الدواء. وهو سعيد رغم موت ولده الوحيد في الوباء وفقدانه لبصره.

وجميع أقاصيص هذه المجموعة كتبت بعجلة صحفية وباسلوب سهل بسيط يستطيع قارئ الصحف ان يتفهمه، وزخرت بعرض لجوانب الحياة المختلفة والسخرية منها واظهار عيوب المجتمع وهو مع كل ذلك يهتم بالفكرة الاجتماعية التي يبغي عرضها غير ملتفت إلى ما تستلزمه القصة الحديثة من تكامل فني، لذا كانت مجرد صورة قلمية او اخباراً يستشهد بها على عيوب المجتمع خالية من كل تحليل وعمق.

ومجموعته الثانية (مجمع المتناقضات) لا تختلف عن المجموعة السابقة. فقد رسم الخليلي خطوطها ووضع نهاياتها بحيث تتفق وتناقضات الحياة نفسها وهو تناقض منتزع من بيئة الكاتب نفسه، ولا تتعدى القصص التي رواها خبراً سمعه او واقعة شاهدها، ومن أعماق سخريته اللاذعة يصور مأساة الشعب المسكين الذي كبل نفسه بأغلال هذه التقاليد.

في (جاري الفقير) يتحول بطل القصة الغليظ الطبع الذي يكثر من ضرب زوجته وايذائها ويكسر (الجرار) التي يصنعها إلى انسان هادئ وديع بعد ان يجد له عملاً يضمن له حياة افضل. وفي (القسم المبرور) وجد السادن جرارة مملوءة بالنقود في كوخ المتسول الشيخ الذي قضى نحبه. وفي (لكن فات الاوان) يسخر من طرق التربية في العراق ومن عناية الوالدين بولد دون اخر مما يولد الحقد في النفوس والكيد والبغضاء. وقد يستخدم الكاتب القصص الشعبي في كتاباته كما في (لابد من احد اثنين) نجد (ابو نقاش) الذي يزوج ابنته الكبرى من مزارع والصغرى من صانع (تنانير) في حيرة من امره لأن الكبرى تدعو الله ان يكثر من هطول الأمطار كي ينمو الزرع ويحسن حال زوجها وتدعو الصغرى من الله ان ينقطع المطر كي لا تتلف تنانير زوجها.

ويحدثنا الراوي في (مفاجأة) عن درويش يدعي معرفة اسرار العالم وعندما يعرض كراماته على ام الراوي يدهش الجميع مما يرويه، يحدثهم عن ماضيهم وعن الاخوة الميتين والاخ المفقود وتفاجأ أخيراً بأنه الولد المفقود. وتظهر اللمحة البارعة في قصة (الشيخ سلمان) الرجل الفقير المتعبد وكان سلمان يصبو دائماً إلى زيارة الكاظمين. وبعد ان يحقق هدفه يسرق قطاع الطرق ما يحمله من مال قليل وما يحمله رفاقه. وبعد ان يعظهم الجوع يدخلون مطعماً ثم يحاولون الانسلال الواحد بعد الآخر لعدم قدرتهم على الدفع فيقبض عليهم صاحب المطعم ويدع الشيخ سلمان اعتقاداً منه بأنه دفع ثمن طعامه. وبعد ان يعود الشيخ سلمان إلى النجف يحول ثمن الطعام إلى صاحب المطعم.

www.noormags.ir

و(الشيخ) ايراني في السبعين من عمره طرده ولده بعد ان اسند اليه تجارته فجاء الى النجف يقبر همومه ولكن ولده ما يلبث ان يرسل في طلبه.

أما الشيخ (الشيخ دبعون) فلم يتلق علومه الدينية لأجل خدمة المجتمع بل لغرض الاثراء. يخرج الى القرى يجبي الاموال من الفقراء ويذهب الى قرية (غماس) ويستضيف (الملا هاني) الذي لا يدخر وسعاً في اكرامه ولا يزداد الشيخ دبعون إلا أذلالاً له وويطلب منه مبلغاً كبيراً من المال فيرسله الملا هاني إلى الشامية عند صديقه (عباس الجبان) مؤملاً إياه بمال كثير وويبقى دبعون كالكرة بين الملا هاني وعباس الجبان يرسله احدهما الى الاخر حتى يضيق صدر الملا هاني فيذهب إلى النجف ويفضح أمر الشيخ دبعون ويتخلص منه.

وأما أقاصيص المجموعة الاخرى فلا تزيد عن اخبار قصيرة مما تناقلته الالسن والصحف مثل (سر الجريمة) و(الملك الحزين) و(تجربة سفر) والاولى تحدثنا عن جريمة مرت بالراوي والثانية عن لقائه مع الامير خالد في باريس ووالثالثة عن صداقة لم تثمر مع شاب سوري واما قصة (الرطبة العجيبة) فقد ساقها الخليلي على نمط حكايات الف ليلة وليلة، غريبة في أحداثها متكلفة في اسلوبها المسجوع.

والشخصيات في قصص الخليلي هيكلية لا تصور شمولها الانساني وهو يسعى لابراز المسحة المحلية او الشعبية في التقاط بعض لمحاتها الفيزيكية التي لا تساعد على فهم تصرفات الشخصية ولا تعطيها خصوصياتها كأفراد بأعيانهم وأكثر شخصياته افراد من الطبقة العامة وقد تفقد هذه الشخصيات إسماءها وتصبح مجرد رموز او حروف كما في اقصوصة (اعوذ بقوة الله) حيث يحصل (س) المدعي الجاهل على كل مايصبو إليه انسان بينما تنكب الحياة (د) الذكي الالمعي لأنه لا يعرف المداهنة والمواربة.

تقول اليزابث بوين (القصة لا تلزم نفسها بما يحدث فقط وهي لا تعتمد على مجرد رواية الاخبار، انها تضيف لها وتزيد عليها، فالقصة ليست نشرة اخبارية مطلقاً كما انها ليست حوادث مثيرة للحس.. وهنا يأتي دور الشرارة التي تبعث الحياة الحقيقية في القصة وهي الخيال الروائي ذو القدرة المميزة، وهذا الخيال لايقتصر على الاختراع فقط بل انه يدرك الاشياء ويحسها فهو يضاعف في صدقها كما يعطيها حقيقة داخلية اعمق وهذا هو مفهوم الفن الذي يدخل في تكوين القصة)[1].

كتب جعفر الخليلي في القصة والاقصوصة وهو في منحاه قريب الشبه بأيوب اذ اتخذ حوادث البلاد ورجاله مضموناً لقصصه بفارق واحد ان الخليلي لا تهمه السياسة بقدر ما تهمه معتقدات العامة تلك المعتقدات التي رسخت في الاذهان كنتيجة لتغرير الدجالين او لسوء فهم شرائع الدين، وللجهل المسيطر على العقول منذ عهد بعيد.

---

(١) ت عبد الوهاب الوكيل، مجلة المعلم الجديد العدد ٢٤.

www.noormags.ir

والقصة عند الخليلي حادثة او صورة اجتماعية لا مكان فيها لغير ذلك من دراسة او عاطفة. ليس ثمة لحظة (مأزومة) ولا عاطفة لتتطور وتسلط عليها انوار التحليل ولا عقدة تدرس ردود فعل الانسانية معها. إن الخبر في القصة عنده كالخبر في الحياة له بعداه المكاني والزماني ولكنه لا يحتمل البعد النفسي وله صدق في الواقع او الحدوث لكنه لا يحتمل الدلالة اولاً ولا يمكن فصله عما قبله او بعده ثانياً. أي انه لا يصل الى درجة الحدث وانما يقف في الحياة وفي القصة عند حدود المادة الخام.

ان الصورة التي يرسمها الخليلي ليست مقصودة لذاتها وانما تستهدف شيئاً آخر هو النقد الاجتماعي ومعنى ذلك ان الكاتب لا يكتب قصصه لمجرد انها تجارب شخصية من حياته وانما يكتبها ليتخذ منها موقفاً معيناً من الحياة ويوجهها إلى المجتمع تنقده وتكشف مواصفاته الاخلاقية والكاذبة ورياءه البشع او تتعرض الاقصوصة الى عادات المجتمع باسلوب فكه وتنقدها بروح ساخرة.

في المجموعة المسماة (من فوق الرابية) عدد كبير من القصص ذات لون واحد كتبت باسلوب واحد تغلب عليه العجالة والبساطة الصحفيتان. ولم نلحظ تقدماً او تطوراً عما كان عليه قبل الحرب الثانية فالدقة التسجيلية عن الواقع والسخرية الصفتان الغالبتان في هذه المجموعة ((وجاء ذات يوم، ظريف من سكان المحلة يقترح فرض ضريبة على كل بيت بنسبة بعده وقربه من بيت الحائك ليجمع من هذه الضرائب راتباً شهريا يدفعه للأب ثمناً لسكوته وللأبن ثمناً لخروجه من دار ابيه ابتعاداً عنه ولاقى اقتراحه هذا قبولاً...)) [1].

يعلو صوت الشيخ (احمد) وهو يخاصم زوجته لانها تنجب له البنات ولا يتورع عن قتل ابنتيه التوائم باغراقهما في حوض الماء القذر في (لقمة الحوض) ويفر (ابو رضا) من الجندية ويعتصم بالجبال حيث يتزوج ويخلف ولا تستطيع الحكومة ضمه الى سلك الجيش في (الفرار من الجندية) ويحتال متسول محترف على الكاتب كي يمنحه مالا ولا يكشف امره إلا بعد مرور زمن طويل في (اين تصنع المعروف) ويقتل اب اعمى ابنته وابنة اخيه عندما يشك بوجود علاقة اثمة بينهما في (جاءكم الضرير المتهم) ويخاصم اب بخيل ولده حتى يضيق أهل الحي بهذا الخصام، لأن ولده يبذر ما يجمعه هو في (مشكلة الحايك) وتقضي الزوجة على صداقة رجلين في (قصة صديق) ويبذر الشاب ما يتركه له ابوه ويرجع الى نفسه بعد فوات الاوان فينصرف الى العبادة ويزهد في الحياة في (ادب الزمان) و(طيش).

وقد استلهم الخليلي حكايات عراقية شائعة في احداث بعض اقاصيصه اي انه لم يكتف باستخدام عينه التسجيلية بل استخدم اذنه كذلك. كما في اقصوصة (الذكرى) التي تروي تشرد اسرة لبنانية في الحرب العالمية الاولى. و(ماذا اكتب) التي يسبح بها بعيداً عن الواقع ويتكلف فيها

(١) فوق الرابية ص ٨٧.

www.noormags.ir

الاحداث وتعتمد على المصادفات وهي تشابه في غرابتها احداث قصص ألف ليلة وليلة، تطلب أمرأة من رجل في مكتب البريد ان يكتب لها رسالة الى زوجها فيعلق بها الرجل ويجن بها حباً ويلاحقها انى تذهب حتى تكون نهايته على يد زوجها.

وقد خلت الأقصوصة من أي فكرة او غاية او هدف غير رغبة الكاتب في كتابة حكاية طرقت مسامعه.

وفي مجموعة اقاصيص اخرى تعتمد على الحدث المتكلف والمصادفات الغريبة مثل (انسانية زائفة) يتبنى الزوجان لقيطة يسميانها (وفاء) وتترعرع مع ولدهما (باسم) حتى يبلغا سن النضوج. يتحابان ويقرران الزواج، فيرفض الاب وعندما تلح الام في تحقيق رغبة وحيدها يخبرها الاب بأن وفاء ابنة غير شرعية له من خامة غرر بها.

ولا تخلو المجموعة من اقاصيص تلفها غلالة رومانسية تمتلئ بالعواطف الجياشة والخيال الجامح وتكاد قدماً الكاتب فيها تتعلقان بالهواء مثل اقصوصتي (حديث قديم) و(ضحية) التي تعطي صورة للحب والوفاء يندر وقوعهما في مجتمعنا. اذ تتخلى المرأة عن زوجها وتتهم نفسها في الكنيسة بأنها آثمة حتى يستطيع الزوج الانفصال عنها والزواج بمن يحب وتنتهي القصة بانتحار الزوجة، وتضم المجموعة اقاصيص اخرى سبق له ان نشرها في مجموعاته التي اصدرها قبل الحرب بنفس الاسم او بأسم آخر[1] . وخير ما يقال في مجموعته (اولاد الخليلي) انها حكايات واخبار أريد بها غاية تعليمية نستمد منها العبرة والعظة[2] ، وفيها يصور العادات والتقاليد في العراق تصويراً حرفيا خاليا من الحبكة القصصية حيناً كما في (أهي الثقافة أم البيئة) تحاول الزوجة الاحتفاظ بزوجها عن طريق السحر واستخدام العقاقير التي تصنعها الساحرات حتى تلاقي حتفها، ووفي (الزواج بالاكراه) ينقد تقاليد الزواج وقيوده في العراق اذ يجبره اهله أن يتزوج من فتاة لا يحبها وما يلبث ان يطلقها بعد ان تنجب له ابنتين، وفي (ابن وام) يصور مآسي الطلاق ودور الحماة في احداث الشقاق بين ابنها وزوجته، وفي (أيتهما أحق بالزواج) يعرض مشكلة تزويج الاخت الكبرى قبل الاخت الصغرى مما يولد العداء بين الاختين وينغص حياتهما. وفي (من الدساكر الى العاصمة) يظهر تأثير المحيط على الانسان اذ ينقلب الريفي من الدعة الى الاستهتار بعد انتقاله الى المدينة وانغماسه في ملاذها. ووفي (انسان من العراق) صورة للحس الانساني اذ يتعرف سائح امريكي على صبي صغير يعمل في ارشاد السواح في (بابل) فيأخذه معه الى امريكا ويدخله المدرسة حتى يغدو مهندساً.

---

(١) الشيخ دبعون، لقد فات الاوان، سر الجريمة، الشيخ، لا بد من احد الاثنين، تجربة السفر، مفاجأة، الشيخ سلمان، الحاج حسين البقال، سبيه الفقر، الرطبة العجيبة.

(٢) عبد القادر حسن امين، المصدر السابق، ص ١١١.

www.noormags.ir

ويعتمد في صوره على المفاجأة التي تلقيها لحظة التنوير حتى يكاد اول الاقصوصة لا يمت بصلة الى اخرها وتنقلب فيها الشخصية الى الضد بسرعة عجيبة ودون القاء ضوء على هذا التغيير او اهتمام بتطوير الشخصية حتى تصل الى ما وصلت اليه من تغير وتبديل.

(ابو علي) ينقلب من رجل شرس يضرب زوجته الى انسان مرح فكه حسن المعشر.

(قالت الزوجة – وما الذي وجدت؟

قال- العلاج فلن تجديني بعد هذا وانا اخف الناس نوماً وأدفأهم فماً وأحلاهم كلاماً فاذا ما حان وقت السحور فتعالي بقليل من مسحوق النشوق القوي وذريه على انفي وانفخي فيه ليصعد الى اعلى المنخرين ثم سجلي تأثير هذا الاكتشاف)

و(الحجية) حسنة المعاملة لطيفة المعشر، تفاجأ بعد موتها – والجميع يبكونها – انها كانت تسرق الجميع و(سرور القهواتي) ينقلب من رجل مرح الى رجل حزين متقلص الوجه دائماً.

و(متى تحب ان تظلم) يتحول السقاء الذي يخشى أهل الحي لسانه السليط إلى رجل متقاعس بعد ان تضربه النساء بالقباقيب.

ولا تخلو المجموعة من قصص فني يراعي فيه الشكل والحبكة التي يعتمد عليها الحدث مثل (البركة) و (من اين تؤكل الكتف)

يستغل موسى اعتقاد ذويه بالجن فيحدث في البيت اضطراباً ينسبه الى الجن، حتى يفتي احد (الخبراء) باخراج موسى من العائلة ليستقر في دار منفردة وبذلك يتحقق حلم موسى.

ورغم ان الاقصوصتين عامرتان بروح النكتة الناقدة للافكار الخرافية المسيطرة على اذهان بسطاء الناس في العراق فقد التزمنا بمبدأ الوحدة والانسجام اذ ارتبط الحدث فيها بوحدة تشمله وتنظمه وتربط بين جزئياته المختلفة. وتفاعل الحدث بايجابية مع الشخصية في اطار حياتها ونكاد لا نعثر على تفصيل او وصف او خبر لا يؤدي دوره في خدمة الحدث الفني والشخصية.

وقد يعمد الكاتب الى التحليل في ابراز سلوك الشخصية وتطورها كما في (والله الذي لا رب سواه) يحس الابن بمسؤولية تجاه موت امه فيدفعه هذا الشعور المتضخم الى الانتحار.

وفي مجموعة اقاصيص ننشرت من قبل بنفس الاسم او بأسماء أخرى [1] في مجموعات سابقة.

ولا تختلف مجموعته الأخيرة (هؤلاء الناس) في اقاصيصها التسجيلية عما سبقها، بل هي صورة مصغرة (لأولاد الخليلي). وفي المجموعة قصص لها احداثها الخاصة التي لا يقدر على طرقها سوى الخليلي. وقد طرق (البيئة الدينية) كما فعل في أولاد الخليلي، واعطانا قصة طريفة في التحول

(١) ثمن الحرية، اين تضع المعروف، المنذور، لقمة الحوض، الحاج حسين البقال، الذكرى، ماذا أكتب، الشيخ دبعون، أغفر لي.

www.noormags.ir

الخلقي من جراء صدمة كما في قصة (صلوا على النبي) يترك (الشيخ غثيث) الدراسة الدينية عندما يكتشف ان حفلة الزواج التي اقامها له زملاؤه الطلبة للسخرية منه وان العروس التي زفوها اليه ليست غير زميل له في الدراسة. وروح القاص الشعبي غير مختفية في (لا بد من احدى اثنين) روح الطريقة الشعبية التي يكتبها للنكتة والمفارقة.

والقصص الاجتماعي التسجيلي يحتل مركزاً مهما في هذه المجموعة كما رأينا في المجموعات الأخرى. في (الكلام الآيل الى البطيخ) يعالج مشكلة الزواج من حب دون التعرف إلى طبائع من يحب او اخلاقها. وفي (الحلقة المفقودة) يعالج مشكلة الزواج غير المنسجم، وفي (أصابع الكف) يعالج الغيرة المستيقظة في نفس زوجة...

وفي المجموعة أقاصيص منقولة عن احداث حقيقية تروى في العراق، مثل (اداة الشرط) التي ينتقد فيها الاطباء. فالطبيب يعيد النواة الى اذن المريضة لأن أمها لم تستطع دفع اجره. وفي (طريق الدير) يضحي المحب بنفسه ويقبر نفسه في الدير من اجل سعادة من يحب.

وتجد في المجموعة اقاصيص يعوزها المنطق والتعليل الصحيحان. كما في (ما كل بيضاء شحمة) و (لم تكن هي) التي تفترض غباء البطل وجهله جهلاً تاماً بما يدور حوله. وإلا كيف يدعى انسان الى دار شخص لا يُعرَف على من فيه؟ فاذا تعرف على من فيه كيف لا يفرق بعد ذلك بين الزوجة والأخت. فيظن ان زوجة مضيفه هي اخته فيخطبها منه ؟. ان القصة من خلق المفارقات التأملية ولا نجد لها صدى الواقع ولا قوة الاقناع ولا حرارة ايمان الكاتب.

ولا تخلو بعض اقاصيص المجموعة من حس انساني وتعمق في نفسيات الشخوص لكشف إنفعالاتها وعواطفها وتفاعلها مع الحدث مثل (غفوة وانتباهة) و (كلبنا جيمي) التي تصور تعلق فتاة صغيرة بكلب وألمها لفقده وانطواءها الحزين على نفسها بعد ان فقدته. وفي المجموعة أقاصيص نشرت في المجموعات السابقة [١] ... أما الأقاصيص التي نشرها الخليلي في الصحف والمجلات العراقية فهي أقرب إلى اللقطات العابرة تنقصها الحبكة ويعوزها الفن القصصي مثل: من الذي لا يستعجل [٢] ،ذات الرأس البارد [٣] ، حسن الطالع [٤] ، دفتر تمارين [٥] وهي تعتمد على المفاجأة واحداثها تشيع فيها روح السخرية الناقدة. وعلى الرغم من غلبة الجو المحلي على اقاصيص الخليلي وانتزاعه الصور من بيئته واستخدامه شخوصاً من

(١) لا بد من احد الاثنين، الكنز، حينما يفرغ الجيب، بعد السبعين، على من تدور الدوائر.

(٢)اهل النفط العدد ٦٤، عام ١٩٥٦ م.

(٣)اهل النفط العدد ٦٥ ، عام ١٩٥٦ م.

(٤)اهل النفط العدد ٦٦ ، عام ١٩٥٦ م.

(٥)اهل النفط العدد ٦٩ ، عام ١٩٥٧ م.

www.noormags.ir

مجتمعه إلا إنه قد يخرج عن هذا اللون المحلي احيانا الى اجواء اخرى تلمسها في سفراته وجولاته مثل : (الفرار من الجندية) و(الذكرى) فقد استمدهما من البيئة اللبنانية وقصتا (اين تضع المعروف) و (ماذا أكتب) اللتان استمدهما من البيئة الايرانية.

إن الخليل واقعي المورد والصور التي تعرضها قصصه والتفصيلات التي يجري وراءها محتملة الوقوع. كما نحس الصدق الجارح أحياناً بين سطوره، ونستطيع ان نعرف بصورة عفوية ان بعض هذه الحكايات قد جرت فعلاً، وهي مما يعرفه الناس.

وفي سبيل الوصول الى غايته النقدية والسخرية اللاذعة من تقاليد المجتمع وعاداته يضحي بالشكل لذا يمكننا ان نلخص القصة او نطيل فيها اذا كانت هذه الأمور تخدم الهدف الذي من اجله وضعت القصة. أي ان الشكل عنده يفقد قيمته، ولا يبقى من قصصه بعد ذلك غير اسلوب السرد القصصي القديم الى رواية الحادثة ونقل الخبر بالتتابع مع الزمن.

إنه يملك مفهوماً واضحاً محدوداً نحو عمله القصصي وهو لا يهمه هذا المفهوم، بل كل ما يهمه ان يصل في النهاية الى غايته النقدية الاصلاحية.

شخصياته بسيطة طيبة قدرية لا تعقيد فيها ولا نوازع حادة تعتلج في انحائها. انها تأتي على مستوى القضايا البسيطة العادية التيّ تعرض لها، وحوادثها لا مبرر لها سوى ماتشير الى ان الحياة نفسها تحفل بامثالها وتزدحم بالعديد من المخلوقات (الطافية) التي لا تزيدنا معرفة بطبيعتها ولا بخصائصها الانسانية العميقة الأغوار لسبب بسيط هو ان الكاتب لم يكن يلفته فيها غير سماتها المادية الثابتة.

وهو يهب الشخصية دائماً بعض لمحات قشرتها الخارجية دون التعمق في داخلها او تحليل عواطفها او نفسيتها، فهو يقف عندها في حدود نقل هيكلها العظمي على صفحات الورق وليس للشخصية عنده خصوصية فردية تميزها عن غيرها بل هي مواقف عامة وانماط بشرية لطبقات الشعب وفصائله العديدة.

ونحن نتساءل عن قيمة هذه القصص التي تقتصر على تسجيل العادات والتقاليد؟ لقد قلنا بأن القصة القصيرة كعمل ادبي ليس من مهمتها ان تزودنا بمعلومات غير فنية وليس لها ان تعظ فتحث على الخير وتنهى عن المنكر بصورة تقريرية، وليس من مهمتها ان تقدم دراسات جغرافية او تاريخية او غير ذلك من شتى انواع العلوم.

إن القصة التي تقصر غايتها او تكون مهمتها هذا التسجيل تصلح عادة لغير الفن، قد تنفع علم الاجتماع وقد تنفع في الدراسات الفولكلورية ولكنها لا تحمل اية قيمة فنية .

ظهر اسلوب الرمز عند الخليلي في روايته (في قرى الجن) استعار لها جو الف ليلة وليلة والسحر والبخور والدراويش والعفاريت. وأمعن فيها بالحديث عن نقائض الحياة الحاضرة.

www.noormags.ir

وحاول ان يرسم مثلا اعلى للحياة في السياسة والحب، فكأنه في قصته يحدثنا عن مدينة فاضلة يصورها في قرى الجن. وهذا اللون في التعبير يشيع بين الناس عادة حين تقيد حرياتهم وحين يمنعهم الخوف من الجهر بأرائهم [١].

ان الفن القصصي ليس سوى خلق عالم خاص تتحرك فيه شخوص حية ترتبط بهذا العالم اوثق ارتباط شخوص يستطيع القارئ ان يشاركها حياتها وعواطفها واهواءها وان ينتظر الحوادث معها وان الهدف الرئيسي الذي يجب ان يستهدفه القصصي. احداث حركة سحرية في ذهن القارئ بحيث تستحوذ على خياله ويرتسم بواسطتها هذا العالم القصصي امام عينيه. واذا اخفق القصصي في الوصول الى هذا الهدف فذلك يعني ان المقدرة الفنية تعوزه وعندئذ لم يكن امامنا قصة بل حروف سوداء مطبوعة على الورق ولا يصح بعد هذا الحديث عن موضوع القصة لان الموضوع لن يكون موجوداً، فهل تحدث ،اقاصيص جعفر الخليلي هذه الحركة السحرية في ذهن القارئ.

لنأخذ نموذجا من اقاصيصه ولتكن اقصوصة (حسن الطالع) [٢] وهي صورة تسجيلية لأحدى العادات العراقية المتوارثة. الايمان بحسن الطالع، ورؤية الهلال في مطلع كل شهر في وجه انسان حسن الطالع، يروي لنا الكاتب القصة على لسان -بطلها- الذي يقول في مطلعها: (أصاب ابي في يوم مولدي حظ كبير فنسب ذلك الى حسن طالعي) وذاع امره بين المعارف والجيران (وصار من امر تلك الشهرة انني صرت اقعد للجيران والأصدقاء في كل يوم من الشهر القمري ليستهل الهلال في وجهي من يريد ان يمر عليه الشهر بأسعد ما تمر الشهور) وتطلع في وجهه مع المتطلعين عدد من الفتيات فركبه الغرور احس بالمنة والتعالى، ولكنه ما لبث ان وقع في حب (وفية) التي كانت تتطلع وجهه في مطلع كل شهر (وانني صرت انتظر اول يوم من الشهر القمري بفارغ الصبر لأشبع عيني من التملي في وجهها). وأبدى رغبته في الزواج منها وسعى اهله الى اهلها لتحقيق رغبته وكانت فترة الخطوبة فترة مملة بالنسبة له لأن وفية انقطعت عن التطلع الى وجهه في كل شهر (ولكن المراسيم والاخذ والرد بين الأسرتين كانت تستلزم الاطالة) وما لبث ان زفت اليه ومرت ست سنوات على زواجهما وانجبا ولدين ولكنه لم يذق طعم السعادة منها (فقد كانت الايام كلها عبارة عن سلسلة من شقاء لا يوصف واختلافات ابتدأت من اول يوم ابتدأ فيه الزواج ... وافترقا بالطلاق) فقد كانت تحب غيره(فكانت تلتجئ الى التطلع في وجهي عندما يهل الهلال لتسعد بالزواج من حبيبها ولكنني كنت شؤماً عليها وشؤما على نفسي ثم كنت شؤما على ولديّ اللذين لقيا ما لقيا بسبب افتراق ابويهما) ومع كل هذا الشقاء الذي حل به وسوء الطالع الذي رافقه فان معارفه لايستقبلون مطلع الشهر الا في وجهه ليجلب لهم السعادة التي لم يستطع ان يجلبها لنفسه.

---

(١)جميل سعيد التيارات الادبية الحديثة في العراق ص ٤٧.

(٢)مجلة اهل النفط العدد ٦٦، ، عام ١٩٥٦ م.

www.noormags.ir

الموضوع الذي دارت حوله (الصورة) موضوع اجتماعي قصد به الكاتب السخرية من التقاليد الشائعة في العراق والاستخفاف بها ومحاولة صد الناس عنها.

وقد صور الكاتب الواقع الخارجي تصويراً حرفياً وعنى بالجو والمنظر اكثر من عنايته بالحركة والسرد وانتفت فيها العقدة والحبكة. وجاء الخبر في القصة كالخبر في الحياة له بعداه الزمني والمكاني ولكنه خال من البعد النفسي ولا يحتمل الدلالة ولا يصل الى درجة الحدث [١] وكل ما يهمه ان يصل في النهاية الى غايته الاصلاحية وابعاد الناس عن عادة مستهجة تحكمت في نفوسهم.

وضحى الكاتب في سبيل غايته بالشكل فيمكن ان نحذف من القصة او نزيد عليها او نلخصها او نطيل فيها ما شئنا اذا كانت هذه الأمور تخدم الهدف الوعظي الذي من اجله وضعت القصة وان شكل القصة القصيرة عنده يفقد هويته وقيمته ولا يبقى في قصته غير اسلوب السرد القصصي القديم الى رواية الحادثة ونقل الخبر بالتتابع مع الزمن.

وشخصية البطل شخصية بسيطة منتزعة من البيئة المحلية – العراقية – لا نعرف اسمها. انها مشجب يعلق عليه الكاتب الحدث فهي ليست مقصودة لذاتها وانما تستهدف النقد الاجتماعي. إنها شخصية سلبية قدرية مؤمنة بمصيرها لا تحاول ان تصارع القدر كي تتغلب عليه بل هي مستسلمة بكليتها. – فا لبطل – لايخفي وجهه عن الناس عندما يتطلعون الى وجهه اول كل شهر، لا، بل هو فخور بذلك مؤمن بانه حسن الطالع وبقي على نفس الحال بعد ان فشل في اول تجربة خاضها في حياته حين انتهى زواجه بمن يحب الى الفشل، فالطلاق بعد ان اكتشف ان زوجته تحب غيره، حتى انه لم يحاول ان ينقذ زواجه او يرحم ولديه بل انتهى به الامر الى الطلاق والى تشريد اولاده .

لم يعط الكاتب الصفات الخارجية الفيزيكية لشخوصه ولم يحاول استنباطها وكشف نزعاتها وعواطفها، فهي شخصيات لا تعقيد فيها ولا نوازع تعتلج في حناياها بل تأتي على مستوى القضايا البسيطة العادية التي تعرض لها [٢].

---

(١)ان القصة تروي خبراً ولكن لا يمكن ان تعتبر كل خبر او مجموعة من الاخبار قصة فلأجل ان يصبح الخبر قصة يجب ان تتوفر فيه خصائص معينة اولها ان يكون له اثر كلي...

واول مستلزمات القصة ان الخبر الذي ترويه يجب ان تصف تفاصيله او اجزاءه بعضها مع بعض بحيث يكون لمجموعها أثر أو معنى كلي، ولكن الأثر او المعنى الكلي لا يكفي وحده لكي يجعل من الخبر قصة فلكي يروي الخبر قصة يجب ان يكون له بداية ووسط ونهاية، أي أن يصور ما نسميه بالحدث.. وبهذه الوحدة بين اركان الحدث الثلاثة وهي الشخصيات والحوادث لا تصبح اي قصة مجرد خبر يزودنا بالمعلومات بل حدثاً كامل التطور، أي إن كل مرحلة فيها تؤدي بالضرورة والحتمية إلى المرحلة التي تليها فتثير الرعب في القارئ ثم تشبعها وبذلك يتم لها الشكل وهو ما يميز العمل الفني عن غيره من الأعمال (فن القصة القصيرة) رشاد رشدي، ص١٣ ، ص ٩٣.

(٢)الحادثة في الأقصوصة هي اخر مكوناتها، لأن الاقصوصة تعتمد على قوة الايحاء والتصوير قبل ان تعتمد على الحادثة والشخصية. فمن الضروري ان يتبع القاص طريقة اداء قوية موحية منذ اللحظات الأولى وان تعتمد على

www.noormags.ir

ان تصوير الاشخاص تصويراً صادقا هو الذي يكسبهم عنصر الحياة ومن ثم فان لهم هذا العالم الخاص الذي يقوم الفن القصصي كله على خلقه .وان القصصي الفني هو الذي لا يقتصر على الجانب الواعي من حياتنا واللون البادي في مجتمعنا الظاهر بل يتغلغل فيما وراء الوعي وينفذ الى باطن الحياة والمجتمع حتى تنجلي له الطوايا التي هي مرجع التوجيه .

اما اسلوب الاقصوصة ،فهو اسلوب الريبورتاج يسقط الى الاسلوب الصحفي وتغلب عليه السهولة والبساطة وقد يلتوي احيانا ويبتعد عن السلاسة والتدفق والرشاقة ويعاني من التعثر والركاكة (اما كيف مرت الايام فلا أحسب أحدا يستطيع ان يصورها غير فلم سينمائي دقيق الحس سريع الالتقاط لا تفوته من الحوادث فائتة صغيرة كانت ام كبيرة، بل ربما حتى الفلم السينمائي ليعجز ان يصور هذه القطعة من العمر... ويكفي السامع ان يعلم ان ليس هناك ما يستحق ان يستثنى من ايام العرس حتى ولو يوماً واحداً بل ولا ساعة واحدة فقد كانت الايام كلها عبارة عن سلسلة من الشقاء لا يوصف واختلافات ابتدأت من اول يوم ابتدأ فيه الزواج)

في خضم اقاصيصه التسجيلية نعثر على اقاصيص فنية مثل اقصوصة (البركة) [1] التي تنقد التقاليد والعادات المحلية كسابقتها اذ لا يخرج الخليلي عن هدفه الاجتماعي النقدي في اية قصة من اقاصيصه.

تضيق الدنيا في عيني (مزعل الفحام) بعد ان تكبر اسرته ويشح رزقه ويجرب ان يكون فحاماً لعل البركة تحل في رزقه بعد ان جرب مهن عديدة وفشل فيها فقد اشتغل عامل بناء وملاحا وبقالا وبستانيا، لكن البركة لم تحل في رزقه هذ المرة ايضاً (إن مزعل يؤمن بالبركة كما يؤمن بها عامة الشعب ويسعى منذ اول نشأته للحصول على هذه البركة بالصلاة والصيام والسعي في تجنب إيذاء الناس) .

وحلت سنة ١٩٤٢ وفي مطلعها شتاء قارس (لم يشهد نظيره الناس منذ خمسين عاماً) وكانت فرصة حسنة لبيع الفحم ولكن مزعل اصيب بمرض اقعده عن العمل حتى نهاية الشتاء، وعزا كل ذلك الى انعدام البركة حتى ضاقت زوجه به ذرعا وقررت الطلاق منه، وأفهمته ان البركة ليست إلا حيلة (وتحول الشك في نفسه الى يقين بأن البركة التي كان ينشدها وينشدها غيره ربما كانت شيئاً

تعبير لفظي حافل بالصور والظلال والأيقاع، وحبكة الحوادث ليست ميسرة لها وجمالها المحدود يحتم عليها التركيز والأندفاع لذلك تسقط الاقصوصة البطيئة الحركة الباردة العبارة لأن البدء بالأقصوصة كلها يتركز في الحركة السريعة والعبارة المنسقة وليس معنى هذا هو الأفتعال في السياق ليكون حاراً وفي العبارة لتكون رنانة ولكن معناه البدأ بنقطة حية والتعبير بعبارة فيها لون شعري على قدر الامكان. لا كما قد تبدأ القصة بحادثة تافهة عبارة ساذجة ثم تأخذ في الحرارة بعدها والأندفاع لأن الفرصة هنا محدودة والشوط كذلك قريب / النقد الأدبي اصوله ومناهجه / سيد قطب.

(١) من مجموعته أولاد الخليلي ص ٧.

www.noormags.ir

موهوماً فكر طوال ليله في مخرج له حتى وجده وأدعى في الصباح (انه قد رأى في الحلم سيداً جليلاً مهيباً قال له انه السيد الخضر وأنه من اولياء الله وامام جهله الناس وهو مدفون في نفس البيت وفي الركن الاول من مدخله وان عليه اي على مزعل ان يقوم باظهار قبره للناس فيبني له دكة ويقيم ضريحاً) وتحدث أهل القرية بالحلم. وفي الليلة الثالثة اخبرهم مزعل ان (الخضر) قد زاره في الحلم وهو غاضب (ثائر يهدد القرية بسحب البركة منها ان لم تعجل باقامة ضريحه) وسحب البركة امر مخيف في نظر اهل القرية، فأقام اهل القرية الضريح، وما لبث ان شاع خبر في القرية مفاده ان (الإمام) يشفي المرضى ويعطي الناس (مرادهم). فقدموا له النذور (وما مرت سنة على ظهور هذا الامام حتى ابتنى مزعل الذي صار يدعى بالشيخ مزعل اكراما لخدمته الرسمية للأمام، بيتاً عامراً خصص منه جناحاً كبيراً للضيوف الذين بدأوا يتقاطرون عليه من جميع الجهات) ومضى مزعل يضحك من البركة وآمن بان البركة ليست إلا حيلة وخداع الناس.

تقوم الاقصوصة على تحقيق الوحدة العضوية والاثر الموحد اذ يسعى الكاتب الى اعطاء الاخبارالجزئية لتنسجم انسجاما متكاملا مع الحدث الرئيسي ويسعى الحدث والمعنى والاطار الى التفاعل في ايجابية بالغةمع الشخصية في اطارحياتها ونكاد لانعثرعلى تفصيل او وصف او خبر لايؤدي دوره في خدمة الحدث الفني والشخصية.ويتجلى الاثر الموحد في معناها ككل وفي ارتباط الداخل بالخارج وتكوين الانطباع الكلي والنهائي للقصة وينور هذا الاثر ويزيد في غناه لحظة التنوير التي يتكئ عليها الكاتب لتلقي بالضوء على جميع خيوط الحدث وعلى ابعاد الشخصية (وصار من المستحب ان يقول الزائر حين يدخل ضريح الامام السلام عليك ايها العبد الصالح لله ولرسوله ورحمة الله وبركاته، وحيت تصل كلمة وبركاته الاخيرة الى اذن الشيخ مزعل وزوجته واولاده الذين عرفوا فيما بعد سر البركة،يضحكون)

والاقصوصة في تحقيقها للحدث والشخصية لا تفرض على العمل شكلا آليا وانما تفرض عليه شكلا عضويا تنبع وحدته واثره من باطنه وهي لاتعتمد على الاستثارة وانما تعتمد على الحركة فقد كان مزعل عاملا شريفا (وها هو ذا قدتجاوز منتصف العقد الخامس وهو لا يزال كما بدأ العمل منذ اول شبابه لا يكاد يستر جسمه باكثر من ثوب واحد)عمل فلاحا في البساتين وملاحا في نهر الفرات وبقالا وفحاما ولكن البركة لم تصله، فالبركة عند مزعل وعند اكثر الناس هي ما يجب ان يحصل عليه الانسان ليضمن نجاحه في دنياه وان ليس الى نيل هذه البركة سبيل بغير تلك الامور المتداولة.

واستمرت شخصية مزعل بالتطور والنمو ضمن اطار الحدث ،وتطورت شخصيته بعد ان اصابه اليأس فلم ينساق الى القدر يرسم مصيره ـ كما فعل بطل الاقصوصة السابقة ـ بل وقف بصمود تجاه القدر وخط طريقه بنفسه (ان البركة ليست غير الحيلة انها الوسيلة الطبيعية التي تضمن

www.noormags.ir

للناس انماء مواردهم وصفاء عيشهم بالطرق التي لا تقبل الجدل والنقاش ،انها وسيلة يتستر بها الذين لا يريدون ان تتوجه الانظار الى مواردهم ومصادر نعمهم)فاخترع قصة الحلم وشفاء المرض (وقد تحققت امنيتها في نفس ذلك اليوم وذهبت الحمى وبرت المرأة بنذرها وانتشر خبر هذه الواقعة المستعجلة في القرية وكان لا بد ان يكون لكل شخص امنية ولكل شخص مطلوب) وتدفق المال عليه بعد فقر وضحك ملء شدقية من(البركة).

وهكذا وضحت الابعاد الثلاثة لشخصية مزعل ولم تخدمها زاوية الرؤية او الحدث وانما تفاعلت معهما ووضحت الملامح الفيزيكية لها بالاضافة الى الملامح الداخلية والنوازع النفسية لها.

وارتفع في اسلوبه عن المستوى الصحفي وان احتفظ ببساطته وسهولته.

اما حواره فلم يخرج به عن نطاق الفصحى رغم ان الشخصيات شعبية لا تجيد تكلم الفصحى ولا تستطيع فهمها [1] .

ان فكرة الاقصوصة مسبوكة والاداءفيها موفق وروح الدعابة تتجلى في معظم المواقف مع خفة الظل وقلة التكلف في الاسلوب والموضوع على السواء.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) فمن غير المعقول في القصة على الاطلاق ان يجعل الكاتب شخوصه تتكلم بمستوى لغوي واحد وخاصة اذا كانت اللغة المستعملة غير اللغة التي تتكلم وتفكر بها في الحياة كما يجعل كثير من كتاب القصة عندنا أشخاص قصصهم تفكر وتتكلم باللغة العربية الفصحى...

فالكاتب الذي يجعل شخوص قصته تتكلم وتفكر بلغة غير اللغة التي تفكر وتتكلم بها في الحياة يهدم الواقعية من اساسها التي هي السبب في كيانه لأن الحدث إنما يقوم على الأشخاص وتفاعلهم بعضهم مع البعض فإن جاءت محاكاة الأشخاص ناقصة جاء الحدث ناقصاً وبالتالي انعدمت الواقعية. (من القصة القصيرة) رشاد رشدي ، ص ١٢٠.

www.noormags.ir